الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية

الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

ابتداءً لا بدَّ من القولِ : إنّ ما نريدهُ بالقراءةِ التأويليّةِ في هذا البحثِ ، هو الوقوفُ المتأنّي على كلامِ الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام الذي يتعلّقُ بأميرِ المؤمنين عليه السلام ، لنستخرجَ بعضاً ممّا فيه من علومٍ ومعارف ، مستعينين بما يُعطيه المعجمُ العربيُّ من معانٍ للألفاظ التي تتحركُ في حقولٍ دلاليةٍ متقاربةٍ ، ثم النظر الفاحص في طبيعةِ علاقاتِ الألفاظِ مع بعضها ، وما يُنتجه هذا النظرُ من دلالاتٍ ومعانٍ ستكون ناتجاً مقنعاً لهذه القراءةِ . وهذا ما أُمرنا به من حيث التدبّرِ فيما نسمعُ ونقرأُ . واستناداً إلى هذا فإنّنا لا نقفُ في القراءةِ على المعنى الظاهرِ الذي يستقبله المتلقّي من أوّل وهلة ، وإنّما نذهبُ مع الوجوهِ الدلاليةِ التي يرتضيها السياقُ من دون جورٍ عليه ، أو تحميله ما لا يطيقُ حملَه ،لأنَّ هذا سيكون مُخالفاً للموضوعيّةِ التي ينهضُ عليها البحثُ العلميُّ .

ليس من شكٍّ أنَّ موقفَ الزهراءِ عليها السلام مما وقع بعد انتقالِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أكرمِ جوارٍ ، كان يسيرُ في اتّجاهين : الأوّل : إرثُها في فدك[1] ، والثاني : حقُّ الإمامِ علي عليه السلام في الولايةِ على المسلمين بعد رحيلِ رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الرغمِ من أنَّ الأمرين المشار إليهما أمرٌ واحدٌ في واقعِ الحالِ ، وهذا ما ورد بيانٌ له ـ فيما بعد ـ في قولٍ للإمامِ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، فقد رُويَ أنَّ هارون الرشيدَ قال له : ((حدّ فدكاً حتى أردَّها... فقال عليه السلام لا آخذها إلا بحدودِها قال: وما حدودُها ؟ قال: إنْ حددتُها لم تردّها قال: بحقّ جدّك إلا فعلتَ ؟ قال: أمّا الحدُّ الاوّلُ فعدن، فتغيّر وجهُ الرشيد وقال: إيهٍ، قال: والحدُّ الثاني سمرقند، فاربدَ وجهُه قال: والحدُّ الثالثُ أفريقية فاسودَّ وجهُه وقال: هيه ، قال: والرابعُ سِيفُ البحرِ مما يلي الجزر وأرمينية ، قال الرشيدُ: فلم يبقَ لنا شيءٌ، فتحولْ إلى مجلسي، قال موسى: قد أعلمتُك إنّني إنْ حددتُها لم تردها فعند ذلك عزم على قتلهِ))[2].

واستناداً إلى ما تقدّم فإنَّنا سننظرُ فيما سيردُ في خطبتي الزهراءِ عليها السلام من إشاراتٍ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ـ من هذه الوجهةِ ، لأنَّ هذا الأمرَ سيجرُّ المسلمين إلى الانحرافِ عمّا فرضه اللهُ تعالى عليهم ، وما أمر به النبيّ . صلى الله عليه وآله وسلم . في ذلك .

---

[1]() فدك : قريةٌ بالحجازِ بينها وبين المدينة مسيرة يومين، أفاءها اللهُ تعالى على رسولهِ صلى الله عليه وآله وسلم في سنة سبع للهجرةِ صُلحا، وذلك أنَّ أهلَ فدك أرسلوا إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، أنْ يصالحَهم على النصفِ من ثمارِهم وأموالِهم ، فأجابهم إلى ذلك، من دون حرب ، فكانت خالصةً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم . وفي فدك عينٌ فوّارةٌ ونخيلٌ كثيرةٌ، وهي نِحلةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما ولي عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الخلافةَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فدك إلى ولد فاطمة ـ عليه السلام ـ فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز، فلمّا ولي يزيدُ بن عبد الملك قبضها ، فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفّاح الخلافة فدفعها إلى الحسن المثنى بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فكان هو القيّم عليها يُفرّقها في بني علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، فلما ولي المنصورُ خرج عليه محمد ذو النفس الزكيّة وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن المثنى قبضها عنهم، فلما ولي المهدي بنُ المنصور الخلافةَ أعادها عليهم ثم قبضها موسى الهادي ومن بعده إلى أيام المأمون فجاءه رسولُ بني علي بن أبي طالب فطالب بها، فأمر أن يُسجّل لهم بها، فكتب السجلّ وقُرئ على المأمون، فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبحَ وجهُ الزمانِ قد ضحكا* بردّ مأمون هاشم فدكا

ينظر : المقنعة 289 ، رسائل المرتضى 141/2 ، الاقتصاد 214 ، والبيت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي 106 .

[2]() بحار الأنوار 144/48 .

الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية

الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

تبدأُ[3] الزهراءُ عليها السلام خطبتها الأولى بتذكيرِ المسلمين بما كان عليه حالُهم قبل الإسلامِ لتخلص من ذلك إلى ما جاء به أبوها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وما نهض به بعلُها من مساندةٍ له في ذلك كلّهِ فتقول : ((....وكنتم على شفا حُفرةٍ من النارِ، مُذقةَ الشّاربِ، ونُهزةَ الطامعِ ، وقبسةَ العجلانِ، وموطئَ الأقدامِ، تشربون الطرقَ ، وتقتاتون القدَّ ، أذلةً خاسئين، تخافون أنْ يتخطّفكم الناسُ من حولكم ، فأنقذكم اللهُ ـ تبارك وتعالى بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ))[4].

تُشيرُ السّيّدةُ الزهراء ـ عليها السلام ـ إلى ما كان عليه حالُ الناسِ قبل إسلامهم لكفرهم الذي كانوا عليه قبل أنْ يهديهم اللهُ تعالى للإسلامِ بنبوةِ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وهذا هو بعضُ مدلولِ قوله تعالى : { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }آل عمران103. فالمسلمون عامّةً ليس بينهم وبين الوقوعِ في نارِ جهنّم إلّا أنْ يموتوا على كفرهم[5] ، كمن سبقهم من المشركين ، ولكنَّ اللهَ تعالى لطف بهم ، فأنقذهم من هولِ ما كادوا يقعون فيه بمحمدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على وفقِ القراءةِ المرويّةِ عن الإمامِ أبي عبدِ اللهِ الصادقِ عليه السلام ، حيث ورد عنه ـ عليه السلام ـ قولُه : ((وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا بمحمّد... هكذا واللهِ نزل بها جبريلُ ـ عليه السلام ـ على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ))[6].

إنَّ ما يمكن أنْ نتأوّله هنا أنَّ السيّدةَ فاطمة ـ عليها السلام ـ استحضرتْ هذه الآيةَ خاصةً ، لتبصّر من على عينيه غِشاوةٌ من المسلمين من أنّهم على شفا الحفرةِ الأولى التي أنقذهم اللهُ تعالى منها بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، إنْ هم لم ينتصروا لها ، وتركوا ما أمرَ بهِ اللهُ تعالى للمنقذِ (النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) وذريّته من خلالِ منعها من إرثِ أبيها في فدك بدلالتها التي مرّتْ ـ قبل هُنيهة ـ ، ولعلّها تعني الأنصارَ قبل المهاجرين هنا لأنَّ الآيةَ نزلتْ بحقّهم أوّل مرةً [7]، وإنْ كان حكمُها عامّاً يشملُ جميعَ المسلمين في العصور المختلفةِ .

ويبقى من المقطعِ السابقِ من قولِ السيّدةِ الزَّهراءِ عليها السلام إشارتُها إلى حالةِ الذلّ والهوانِ التي كان عليها المسلمون في مكّة قبلَ الهجرةِ ، إذْ كانوا يخشَونَ أنْ يتخطّفَهم الناسُ الذين يُحيطون بهم ، لأنّهم كانوا أعداءً لهم ، وهذا القولُ هو استلهامٌ لقولهِ تعالى : { وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[8]. وهذه الآيةُ خاصة بقريش[9]، كما كانتْ الآية السابقة خاصةَ بالأنصارِ كما أشرنا ، فاللهُ تعالى آوى المسلمين وأيّدهم بنصره بالأنصارِ بعد الهجرة . وهنا اجتمع كلامُ الزهراءِ عليها السلام من خلال الآيتينِ وبدلالتيهما ليشملَ المهاجرين والأنصارَ على السَّواءِ . وهذا الاستلهامُ لمعاني القرآنِ الكريمِ آتٍ من الثقلِ الثاني ، لأنّه وحده المحيطُ بما يُريده الله تعالى في الثقل الأوّل .

---

[3]() جاء في بلاغات النساء 16 : لما أجمعوا على ((منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليها ـ فدك وبلغ ذلك فاطمة فلاثتْ خمارَها على رأسِها وأقبلتْ في لمّةٍ من حفدتِها تطأُ ذيولَها ما تخرم من مشية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً حتى دخلتْ على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصارِ فنيطت دونَها ملاءةً ثم أنَّتْ أنَّةً أجهشَ القومُ لها بالبكاءِ وارتجَّ المجلسُ فأمهلتْ حتى سكنَ نشيجُ القومِ وهدأتْ فورتُهم فافتتحتْ الكلامَ بحمدِ اللهِ والثناءِ عليه والصلاةِ على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عاد القومُ في بكائِهم فلما أمسكوا عادتْ في كلامِها)).

[4]() الاحتجاج 135/1 .

(5) ينظر : تفسير الثعلبي 121/3 .

[6]() يُنظر: شرح أصول الكافي 239/12 .

(7) ينظر : تفسير البغوي 486/1 .

[8]() الأنفال26 .

[9]() يُنظر: تفسير الأصفى 431/1 .

ومن هنا يتبيّنُ لنا أنَّ استشهادَ السيّدة فاطمة ـ عليها السلام ـ بهاتين الآيتين خاصّةً ـ وما سيأتي عامة ـ يهدفُ إلى إقامةِ الحجةِ على جميع المسلمين (المهاجرين والأنصار) إنْ لم ينتصروا لحقهّا وحقِّ أميرِ المؤمنين ـ عليه السلام ـ .

إنَّ وصفَ السيّدة فاطمة ـ عليها السلام ـ الذي مرَّ ذكرُه يكتسبُ دلالته المبتغاة بما جاء بعده من قولها من أنَّ الانقاذَ كان ((بعد اللتيّا والتي وبعد أنْ مُني ببُهمِ الرجالِ وذؤبانِ العربِ ، ومردةِ أهلِ الكتابِ، كلّما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ ، أو نجم قرنٌ للشيطان ، وفغرتْ فاغرةٌ من المشركين))[10].

و(بعد اللتيا والتي) أيْ بعد الشدّةِ والداهيةِ التي كانوا يعيشون في أتونها على وفقِ ما يؤديّه هذا المثلُ بإيجازهِ[11]، وبعد أنْ واجهَ النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شجعانَ الرجالِ من عتاةِ قريش ، وذؤبانِ العرب ((وهم صعاليكُ العربِ ولُصوصُها وسُمّوا بهذا الاسمِ لأنهم كالذِّئابِ))[12]، وما فعله هؤلاءِ مع مردةِ أهلِ الكتاب أطفأهُ اللهُ تعالى ، وهنا تستحضرُ الزهراءُ ـ عليها السلام ـ قولَه تعالى:{ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[13].

لقد جمعتْ السيدةُ فاطمةُ ـ عليها السلام ـ فيما مرَّ من خطبتها ما واجههُ المسلمون في تلك السنواتِ من شدائدَ وأهوال أثقلتْ كواهلَهم ، وكان النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو من يكشفُ تلك الأهوالَ بعليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، تقولُ عليها السلام متمّةً خطبتها : ((قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخَها بأخمصِهِ، ويُخمدُ لهبَها بسيفهِ))[14].

ومن أجلِ بيانِ ما نتأوّلُ به كلامَ الزهراءِ ـ عليها السلام ـ نعودُ إلى المعجمِ لبيانِ معاني الكلمات المركزيةِ في النصِّ التي تكشفُ عما كان ينهضُ به أميرُ المؤمنين ـ عليه السلام ـ .

فالنبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يُلقي (أخاه) في لهواتِها ، وهنا نقولُ أنَّ الزهراءَ ـ عليها السلام ـ انتقتْ لفظةَ (أخاه) للإشارةِ إلى أميرِ المؤمنين ـ عليه السلام ـ من دون أنْ تذكرَ اسمَه ، لأنّ الدلالةَ عليه واضحةٌ ، ولا تنصرفُ أذهانُ السامعين إلى غيره ، فهو أخوهُ من قراباتٍ ثلاث ، قرابةِ النسبِ وقرابةِ (أهلِ البيت) التي جمعتهم بأمرِ اللهِ تعالى آيةُ التطهيرِ ، وقرابةِ المؤاخاة ، حيث استأثرَ النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ به من بين المهاجرين والأنصارِ ، على الرغمِ من أنّ ما وضعه النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من شروط للمؤاخاة أن تكون بين مهاجرٍ وأنصاريٍّ ، أما بين مهاجرٍ ومهاجرٍ فهذا شأنٌ خاصٌّ بالنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ .

أما (اللهواة) التي ذكرتها الزهراءُ ـ عليها السلام ـ فنعودُ فيها إلى المعجمِ لنقفَ على دلالاتها ونتأوّلَ المرادَ منها . جاء في لسان العرب المعاني الآتية تحت الجذر (لهو)[15]:

1- اللُّهْوةُ واللَّهْوةُ : ما أَلقَيْتَ في فَمِ الرَّحى من الحُبوب للطَّحْن .

2- أَلْهَى الرَّحى وللرَّحى وفي الرَّحى : أَلقى فيها اللَّهوة ، وهو ما يُلقِيه الطاحن في فم الرَّحى بيده .

3- اللُّهْوةُ واللُّهْيةُ : العَطِيَّةُ وقيل أَفضلُ العطايا وأَجْزلُها ، ويُقال: إِنّه لمِعْطاء لِلُّها إِذا كان جَواداً يُعطي الشيء الكثير .

4- عِظام اللُّها : أَيْ عظام العَطايا ، يقال أَلهَيْت له لُهْوَةً من المال كما يُلْهَى في خُرْتَي الطَّاحُونة .

---

[10]() الاحتجاج 135/1 .

[11]() يُنظر: مجمع الأمثال 92/1 ، وفيه تفسيرُ المثلِ هكذا : ((اللتيا والتي هما الداهية الكبيرة والصغيرة، وكَنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة، فإنّها إذا كثر سمُّها صغرت لأنَّ السّمَّ يأكل جَسَدها، وقيل: الأصلُ فيه أنَّ رجلاً من جَدِيس تزوج امرأةً قصيرةً، فقاسى منها الشّدائدَ، وكان يُعبّرُ عنها بالتصغير، فتزوج امرأةً طويلةً، فقاسى منها ضعفَ ما قاسى من الصغيرةِ، فطلّقها، وقال: بعد اللَّتيَّا والَّتِي لا أتزوج أبداً، فجرى ذلك على الداهية، وقيل: إنَّ العربَ تصغِّر الشيءَ العظيمَ، كالدُّهَيْم واللُّهَيْم، وذلك منهم رَمْز)).

[12]() يُنظر: لسان العرب(ذأب) .

[13]() المائدة 64 .

[14]() الاحتجاج 135/1 .

[15]() يُنظر: لسان العرب (لهى) .

الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية
الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

إنَّ القراءةَ الأولى لهذه المعاني تجسّدُ هولَ الخطرِ الذي كان يواجهُ أميرِ المؤمنين ـ عليه السلام ـ وهو يضعُ نفسَه بين خُرتَيْ رحى الحربِ استجابةً لأمرِ رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يُعطي للحربِ أفضلَ من معه من المسلمين ليعودَ منتصراً مفتوحاً بسيفهِ ما يسدّه الأعداء. ومواقفُ عليّ ـ عليه السلام ـ في حروب المسلمين مّما يقرّه السامعون لخطابِ الزهراءِ ـ عليها السلام ـ ولا جدال ولا مراء فيه ، بل لعلَّ في مقدّمةِ أسبابِ ما حصلَ ، هو ما فعلُهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام بمشركي قريش ومن حالفهم في حروبهم .

واستناداً إلى هذه القراءة ، فقد خَصّتْ الزهراءُ ـ عليها السلام ـ بالذكرِ خصلتين من خصالِ الإمامِ ـ عليه السلام ـ وهما : الأفضلية ، وهذه تحرمُ غيره ممّا هو حقٌّ له (فدك بمفهومها الذي أشرنا إليه) ، وحتى لا يدّعي مُدّعٍ بشيءٍ من هذه الخصلةِ .

أما الخصلةُ الثانيةُ فهي الشجاعةُ ، وقد أرادتْ الزهراءُ ـ عليها السلام ـ من خلالها أنْ تؤكّدَ أنّه ـ عليه السلام ـ قادرٌ على أخذِ حقّهِ إنْ أرادَ أنْ يستندَ إلى شجاعته المعهودة عند المسلمين جميعاً ، وراحتْ تبرهنُ على ما تُريد ببسطِ صورِ شجاعةِ الإمام ـ عليه السلام ، فهو لا (ينكفئ حتى يطأ صماخَها بأخمصِهِ ، ويُخمدُ لهبَها بسيفهِ) ، فهو ـ عليه السلام ـ يعودُ منتصراً ظافراً ، وكنّتْ عن ذلك بهذا التعبيرِ الذي يُظهرُ استهانةِ أميرِ المؤمنين ـ عليه السلام ـ بالحربِ وما يمكن أنْ يكون فيها من هلعٍ ورعبٍ وخوفٍ لغيرهِ .

والإمامُ في هذا كلّه يظهرُ((مكدوداً في ذاتِ اللهِ ، ومُجتهداً في أمرِ اللهِ ، قريباً من رسولِ اللهِ ، سيدَ أولياءِ اللهِ، مُشمّراً ناصحاً، مُجدّاً كادحاً))[16]. وسنعودُ هنا إلى الاستعمالِ الاجتماعي للمفرداتِ الرئيسةِ في هذا المقطعِ ، فالإمامُ ـ عليه السلام ـ كان مكدوداً في ذاتِ اللهِ ، فما دلالة (المكدود) في اللغة ؟ ، جاء في لسانِ العرب تحت الجذر (كدد) المعاني الآتيةُ التي تأتلفُ مع السياقِ[17] :

1- الكَدُّ : الشدّةُ في العَمَلِ وطَلَبُ الرزقِ ، والإلحاحُ في مُحَاوَلةِ الشيءِ.
2- كَدَّهُ يَكُدُّه كَدًّا واكْتَدَّهُ واسْتَكَدَّه : طَلَبَ منه الكَدَّ .
3- كَدَّ لسانَه بالكلام وقَلْبَه بالفكر ، وهو مثل ما تقدم .
4- الكَدِيدُ: ما غَلُظَ من الأَرضِ ، والكِدَّةُ : الأَرضُ الغليظةُ لأَنّها تَكُدُّ الماشيَ فيها ، والكَدِيدُ : المكانُ الغليظُ .
5- الكَدُّ : ما يُدَقُّ فيه الأَشياءُ كالهاوُن .

إنَّ المعنى العامَ الذي تنتظمُ فيه المعاني الجزئيةُ هو الشدّةُ في العملِ والفكرِ ، والإمامُ على وفقِ هذه المعاني مكدودٌ في العملِ العبادي من صوم وصلاةٍ وجهادٍ ... ، ومكدودٌ في إعمارِ الأرضِ وإصلاحها لإنفاقِ ما يأتي من عمله في سبيلِ اللهِ ، ومكدودٌ في تدبّرهِ وتفكيرهِ بآلاءِ اللهِ تعالى ، فصار على وفقِ هذه الدلالةِ موطناً للكدّ المُجهدِ ، وهذا كلُّه في ذاتِ اللهِ ، فصار مكدوداً في هذه الذاتِ المقدّسةِ . بل إنَّ الأمرَ لا ينتهي عند هذا الحدِّ ، إذ أنّه ـ عليه السلام ـ قال لمعاوية بن أبي سفيان في إحدى رسائلهِ عن شدّته في ذات اللهِ : ((وإنّي لو قُتلتُ في ذاتِ اللهِ وحييتُ، ثم قُتلتُ ثم حييتُ سبعين مرةً، لم أرجع عن الشّدةِ في ذاتِ اللهِ، والجهادِ لأعداءِ اللهِ))[18]. ومن يكن هذا حاله لا يمكنُ إلّا أنْ يكون مكدوداً في ذاتِ اللهِ تعالى ، ومُجتهداً في أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

ثم يأتي قولُها ـ عليها السلام ـ (قريباً من رسولِ اللهِ)، للتذكيرِ بالقُربينِ معاً ، القربِ المادي الوجدانيّ المعهودِ والقربِ الروحيّ ، فالقربُ الماديُّ الوجدانيُّ من النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتجسّدُ في نشأتهِ منذ أبصرَ نورَ الحياةِ ، وهو والنبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في بيتِ أبي طالب بعد رحيلِ عبدِ

---

[16]() الاحتجاج 135/1 .
[17]() يُنظر: لسان العرب (كدد) .
[18]() وقعة صفين 471 .

المطّلب[19]، وكانتْ أمُّ أمير المؤمنين ﷺ فاطمة بنت أسد أمّاً للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على وفقِ هذه الروايةِ التي تقول : ((لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا، فَقَالَ: رَحِمَكِ اللَّهُ يَاأُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينِي، وَتَعْرَيْنَ وَتَكْسِينِي، وَتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبًا وَتُطْعِمِينِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ". ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءَ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ، وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ... فَحَفَرُوا قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَاضْطَجَعَ فِيهِ، فَقَالَ: " اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ; فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ))[20].

لقد آثرنا هنا أنْ نثبتَ الروايةَ بتمامها ، لأنّها تجسّدُ القربَ الحقيقيَّ الذي يوحّدُ بين النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وأمير المؤمنين ﷺ ، فأمّهما واحدةٌ في الوجدان وإنْ كانتْ ليست واحدةً في الواقعِ المادي ، وما فعله النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من تكريمٍ لها عند موتها ـ كما في الروايةِ ـ يجعلنا نقفُ مبهورين ونحنُ ننظر إلى هذه المرتبةِ التي أرادها الله تعالى لأمير المؤمنين وأمّه ـ عليهما السلام ـ بفضلِ هذا الفعلِ من النبيّ ـ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبفضلِ الزهراءِ ﷺ في هذا الجزء من خطبتها ، التي أعادتْ إلى أذهانِ المسلمين ما ندَّ عنها من حقِّها ومن حقّ أميرِ المؤمنين ﷺ فيما تكرّسهُ في خطبتها هذه .

وهذا القربُ الذي نحنُ بصددهِ قرّر أميرُ المؤمنين ـ ﷺ ـ بعضَ وجوههِ في موقفٍ آخرَ، أظهرَ توحّدهُ مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، يقولُ ـ ﷺ ـ واصفاً تلك الصلة وذلك القرب : ((... وقدْ علمتم موضعي من رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالقرابةِ القريبةِ والمنزلةِ الخصيصةِ ، وضعني في حجرهِ وأنا وليدٌ ، يضمّني الى صدرهِ ، ويُكنفني في فراشهِ ، ويُمسّني جسده ويُشمني عُرفَه ، وكان يمضغُ الشيءَ ويُلقمُنيه ، وما وجد لي كذبةً في قولٍ ولا خطلةٍ في فعلٍ))[21]. وهذا يعرفُه السامعونَ بتفاصيله كلّها من دون أيّ ريبٍ ، ولا شكَّ أنَّ كثيراً منهم سمعوا النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقولُ لعليٍّ ـ ﷺ ـ : ((أنا وأنت يا عليّ كهاتينِ وأشار إلى إصبعيهِ))[22] ، وهذا الحديثُ يحتضنُ ما أشرنا إليه من قربٍ روحيٍّ ووجدانيٍّ وعقائديٍّ بين النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والإمام ـ ﷺ ـ ، مع الإشارة الى أنَّ المساواةَ التي تُستوحى من مثلِ الإصبعينِ ، لا تعني المساواةَ في الفضلِ حتماً ((فالنبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنْ كان أفضلَ وأكثرَ ثواباً من أميرِ المؤمنين ، فمن حيث تقاربُ فضلهما ، ولم يكنْ فيهما تفاوتٌ ، جاز اطلاقُ ألفاظِ المساواةِ))[23].

ويُختتمُ القربُ الواقعيُّ بين النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والإمامِ ـ ﷺ ـ يومَ رحيلِ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذْ كان الإمامُ ـ ﷺ ـ آخر الناسِ عهداً بالنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقولُ ـ ﷺ ـ مصوّراً ذلك :((ولقد قُبِضَ رسولُ اللهِ ، وإنّ رأسَه لعلى صدري ، ولقد سالتْ نفسُه في كفّي فأمررتُها على وجهي))[24].

يظهرُ من قولِ الإمامِ ﷺ هذا أنّه كان آخرَ الناسِ عهداً برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الحياة الدنيا ، إذ وضعُه في حجرهِ ، ورأسُه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على صدرهِ ، وما من شكٍّ ، أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أخبرَ الإمامَ ـ ﷺ ـ ، بقربِ رحيلهِ ودنوّ أجلهِ ، وأراد أنْ يكونَ قريباً منه ، على هذا النحو من القربِ المكاني، لتتأكدَ من خلالهِ حقيقةُ القربِ الروحي بينهما ، فضلاً عن القرب الايمانيّ والاجتماعيّ والأسريّ الذي جَلّته هذه البرهةُ من الزمن. وعلى الرغمِ من حضور آخرين من بني

---

[19]() يُنظر: سيرة ابن هشام 164/1 .
[20]() مجمع الزوائد 256/9 – 257 .
([21]) نهج البلاغة 157/2 .
([22]) رسائل المرتضى 134/3 .
([23]) م . ن 143/3 .
([24]) نهج البلاغة 172/2 .

الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية
الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

هاشم ، فإنّهم يعرفون لعليٍّ ـ عليه السلام ـ هذهِ المرتبةَ الربانيةَ ، فلم يطلبوا منه التشرّفَ بهذا المقامِ ، لأنّه مقامٌ يتصل بالعقيدةِ أولاً ، وبالأنماطِ الأخرى من القرب المشار إليها ثانياً .

أمّا القربُ الروحيّ للإمامِ عليه السلام من النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي يرتبطُ بعقيدةِ التوحيدِ (فضلاً عمّا ذكرنا) ، فقد بدأ منذ كان النبيّ يتعبّدُ الله تعالى في غارِ حراء قبل البعثةِ ، يقولُ ـ عليه السلام ـ عن هذه المرحلةِ : ((... أرى نورَ الوحيّ والرسالةِ ، وأشمّ ريحَ النبوةِ ، ولقد سمعتُ رنّةَ الشيطانِ حين نزل الوحيُّ عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ ما هذه الرَّنَّة ؟ فقال : هذا الشيطانُ آيسَ من عبادتهِ ، إنّك تسمعُ ما أسمعُ وترى ما أرى إلّا أنّك لستَ بنبيٍّ ، ولكنّك وزيرٌ وإنّك لعلى خيرٍ))[25].

ويبقى من قولِ السيّدةِ الزهراء عليها السلام السابق إشارتها إلى ولايةِ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : (سيدَ أولياءِ اللهِ ، مُشمّراً ناصحاً، مُجدّاً كادحاً) ، فكيف نتأوّل بعضَ ما تريدهفي هذا المقطعِ من قولها ؟ .

إنَّ الإجابةَ هنا تستدعي أنْ نعود إلى المعجم للوقوف على معاني الجذر (ولي) . جاء في لسان العربِ المعاني الآتيةِ[26] :

1- الوليُّ : القريبُ والدنّو .
2- الوليُّ : الصديقُ والنصيرُ .
3- الوليُّ : التابعُ والمحبُّ .
4- الولايةُ : تُشعر بالتدبيرِ والقدرةِ والفعلِ ، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطبق عليه اسمُ الوالي.

إنّ نظرةً في هذه المعاني لـ (ولي) ، تظهرُ انطباقها تماماً على الإمام علي ـ عليه السلام في صلته بالنبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما مرّ بنا من قبلُ ، فهو ـ عليه السلام ـ قريبٌ من النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دانٍ منه ، وصديقٌ ونصيرٌ وتابعٌ ومُحبٌّ . واستناداً الى هذا تتبينُ لنا دقةُ استعمال الفعل (ولي) في قولِ الزهراءِ ـ عليها السلام ـ ، فإذا أضفنا الى هذه المعاني ، معنى الولايةِ الذي يُشعرُ بالتدبيرِ والقدرةِ والفعلِ (المعنى رقم 5) ، أمسكنا بتحليلٍ مُقنعٍ ووجيهٍ لاختيارِ السيّدة فاطمة ـ عليها السلام ـ لـ(سيدِ أولياءِ اللهِ) .

ونضيفُ هنا أمراً آخرَ يمتزجُ بهذا كلّه ، وهو أنّها ـ عليها السلام ـ تنظرُ إلى قولهِ تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }[27]. فقد أجمع المسلمون على انّ المقصود بـ (الذين آمنوا) ، الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام[28]. والذي سنلتفتُ إليه أولاً معنى الولاية في الآية الكريمة ، ثم نعطف بصرنا على سبب نزولها لنصل الى حكم قاطع بشأن دلالتها ، حكم تقوده اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، لنخرجَ من هذا كلّه إلى دلالةِ ما تُريدهُ الزهراءُ عليها السلام بذكرها لـ(سيد أولياءِ الله).

فالوليُّ في اللغةِ ـ كما مرّ ـ يَعني فيما يعنيه (المالك) ، وهذهِ ولايةُ اللهِ سبحانه وتعالى على عباده ، وترتبط بهذه الولايةِ على وفقِ دلالةِ الآيةِ ، ولايةُ الرسولِ وولايةُ الإمام علي ـ عليه السلام ـ ، فالولايةُ واحدةٌ ، لأنّها جاءت في صدر الآية ، ثم تثبتُ لمن ذُكروا (الله ، الرسول ، الذين آمنوا)، ولا يمكنُ تجزئتُها ، لنقولَ انّ لها أكثرَ من دلالةٍ . وقد تنبّه المفسرون الى هذا التوجيهِ اللغوي ، ولكنَّهم لم يذهبوا الى الدلالةِ اللغويةِ التي بسطَها التركيبُ النحويُّ على نحوٍ قاطعٍ ، فمثلاً ذهب السيّدُ الطباطبائي صاحبُ الميزانِ

([25]) نهج البلاغة 158/2 .
[26]() يُنظر: لسان العرب (ولي) .
[27]() المائدة55 .
[28]() يُنظر: الغدير 5 / 24 وما بعدها .

الى القولِ : إنَّ سياقَ الآيةِ : ((يدلُّ على وحدةٍ في معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمّن العدُّ في قولهِ تعالى (الله ورسوله والذين آمنوا) وأسند الجميع الى قوله (وليّكم)، وظاهره كون الولاية واحدة))[29] .

والوحدةُ التي أشار إليها السيدُ الطباطبائي لا تخرجُ عن الدلالاتِ اللغويةِ التي قدّمها الجذر (ولي) ـ كما مرّ ـ وهي لا تعدو المعنى العام المشار إليه (الوليُّ الذي يمتلكُ القدرةَ والتدبيرَ والفعلَ) وهذهِ ولايةُ التصرّفِ التي اختصَّ بها اللهُ تعالى ومنحها تفضّلاً لنبيّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولعليٍّ ـ عليه السلام ـ ، وهذا كلُّه يتناسبُ مع مضمونِ الروايةِ التي تحدثتْ عن سببِ نزولِ الآيةِ ، تقولُ ((... وخرج النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الى بابِ المسجدِ ، فإذا هو بمسكينٍ قد خرج من المسجد وهو يحمدُ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ فدعاه النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : هل أعطاكَ أحدٌ شيئاً ، قال : نعم يا نبيَّ اللهِ، قال : من أعطاك ؟ ، قال :الرجلُ القائمُ أعطاني خاتمَه ، يعني عليَّ بنَ أبي طالب ـ رضوان اللهِ عليه ـ فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أيّ حالٍ أعطاكه ، قال : أعطاني وهو راكعٌ ، فكبّر النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال : الحمدُ لله الذي خصَّ عليّاً بهذه الكرامةِ ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ـ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون))[30] .

إنّ الذي يستوقفُنا من هذه الروايةِ تكبيرُ النبيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالتكبيرُ محمودٌ في كلِّ حينٍ ، ولكنّه هنا وسيلةٌ مباركةٌ الى لفتِ أنظارِ المسلمين الى أمرٍ كبيرٍ ، وهذا الأمرُ تصدّقُ عليٍّ ـ عليه السلام ـ بخاتمهِ وهو راكعٌ ، وهذا يعني أنَّ الولايةَ المذكورةَ في الآيةِ تخصّه لوحدهِ بعد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فهو الذي تصدّق راكعاً ، ولا يمكن أنْ نلفتَها الى غيره من المؤمنين ، والذي يقوّي هذا التوجيهُ ويقطع بحجيّتهِ ، إنّ النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عقب ذلك بحمدِ اللهِ تعالى على هذه الكرامةِ التي خُصّ بها عليٌّ ـ عليه السلام ـ . واستناداً الى هذا فلا يصحُّ على وفقِ منطقِ اللغةِ ومنطقِ الروايةِ أنْ توجّهَ دلالةُ الولايةِ هنا الى (المؤمنين) كلّهم ، على النحو الذي ذهب اليه بعض المفسرين . حينما قالوا : إنَّ الولايةَ في الآيةِ لكلِّ المؤمنين وأُفردَ الركوع بالذكرِ تشريفاً له[31] . وهذا الأمرُ يُرد بما قلناه سابقاً ، ونتمُّ الردَّ ونعضّدُه بأمرين :

الأول : إنّ معنى الولايةِ الذي بيّنتهُ الآيةُ ـ كما بيّنا ـ هو التدبيرُ والقدرةُ والفعلُ ، أي حسنُ التصرّفِ ، وكون الولاية واحدة في الآيةِ ، لا يصحُّ أنْ تكونَ ولايةُ المؤمنين مطلقةً على بعضهم على هذا النحو المضطربِ ، هذا فضلاً عن إنّ دلالةَ (الذين آمنوا) في الآيةِ ، إذا كانت مطلقةً ، لا يمكنُ أنْ يُعترضَ على من يقولُ أنّه من (الذين آمنوا) ، وتكون له ولايةٌ مطلقةٌ على غيره ، ولو كان لا يُحسن التصرفَ مثلاً ، ومن هنا يتفلّتُ حقُّ التّصرّفِ من أيدي أصحابهِ الحقيقيين الذين اختارهم الله ، ويكون (حقاً) للجميع ، وهذا لا يبني مجتمعاً يُريده اللهُ تعالى للمسلمين ، إذْ جعل ولايتهم موكولةً الى نبيّه وإلى عليٍّ ـ عليه السلام ـ .

الثاني : إنَّ معنى الركوعِ في اللغةِ : الخضوع ((يُقال ركع يركع ركعاً وركوعاً ، طأطأ رأسه ... وأمّا الركوعُ في الصلاة ، فيعني أنْ يخفضَ المصلّيُّ رأسَه بعد القومةِ التي فيها القراءةُ حتى يطمئنَّ ظهرُه راكعاً . قال لبيد :-

أَدِبُّ كأَنّي كُلَّما قُمْتُ راكِعِ

فالراكعُ : المنحني في قولِ لبيد ، وكلُّ شيءٍ ينكبُّ لوجههِ فتمسُّ ركبتُه الأرضَ ، ولا تمسُّها بعد أنْ يخفض رأسَه فهو راكعٌ)) [32] ، وهذا الوصفُ للراكع يعني الراكع في الصلاةِ فقط ، فمنّ تزكى بماله في حال الركوع في الصلاة هو الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بإجماع المسلمين كما مرَّ بنا قبل قليل . وقد يُقال هنا إنّ المعنى العامَّ للركوع يعني الخضوعَ ، فتوجّه اللغةُ الآيةَ الى نحوٍ آخرَ، وهذا الأمُر مردودٌ أيضاً ، لأنّ الخضوعَ مرتبطٌ بطأطأةِ الرأسِ في اللغةِ واصطلاحاً في الصلاة .

---

[29] () الميزان 12/6 .

[30] () تفسير مقاتل بن سليمان 429/1 .

(2) يُنظر : أحكام القرآن 557/2 ، زاد المسير 2/ 293 ، تفسير القرطبي 6 /222 .

(1) لسان العرب (ركع) .

واستناداً الى ما تقدّم تتعاضدُ الدلالتان دلالةُ اللغةِ ودلالةُ الروايةِ ـ لتجعلا حقَّ الولايةِ في الآيةِ الكريمةِ محصورٌ بالنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والإمامِ عليّ ـ ﷺ ـ ، ولا يمكن أن يشترك معهما أحدٌ فيه على الدلالاتِ التي وقفنا عندها .

وثمة أمرٌ آخرُ يُرشّحه لنا التركيبُ النحويُّ للآيةِ الكريمةِ ، فقد بدأتْ الآية بـ (إنّما) ، وهذا يعني تحقيقاً لما تتضمّنه من دلالةِ (الولاية) المشارِ إليها وحصره باللهِ تعالى وبالنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبالإمامِ علي ـ ﷺ ـ . جاء في لسانِ العربِ ((ومعنى إنّما اثبات لما يُذكر بعدها ونفيٌ لما سواه .... وإنْ زدتَ على(إنّ) (ما) صار للتعيين كقولهِ تعالى (إنّما الصدقات للفقراءِ) لأنّه يوجبُ اثباتَ الحكمِ للمذكورِ ونفيَّه عما عداه))[33] . ومن هنا فاللغة لا تسمحُ لنا بتوجيهِ الآيةِ على النحو الذي ذهبَ إليه بعضُ المفسرين ، لأنّ اطلاقَ (الذين آمنوا) على المؤمنين جميعاً ، ينفي الحصر بـ (إنّما) ، وهنا لا يبقى مسوغ لغويٌّ لاستعمال (إنّما) ، إذ يحتّم هذا المعنى أن يكون التعبيُر بـ (إنّ) بدل (إنّما) ، وهكذا تتبين لنا دقة الدلالة في الصياغات القرآنية للتعبير عن المعاني المحددة .

لقد أطلنا قليلاً في تأويل ما أرادتهُ الزهراءُ ﷺ بذكرها لـ(سيد أولياءِ اللهِ) ، لنقطعَ بأنَّ ما وردَ في خطبتيها لا يمكنُ أنْ يكون مُقيّداً بالدلالةِ الظاهرةِ لأوّلِ قراءةٍ ، وإنّما ينبغي أنْ يُتأوّلَ على ما وفقِ ما تقدّمه اللغةُ ويرتضيه السياقُ .

الخطبة الثانية :

جاء في روايةِ هذه الخطبةِ أنَّ السيّدةَ فاطمةَ الزهراءَ ﷺ ألقتها وهي على فراشِ مرضِها الذي تُوفيتْ بسببهِ ، ولما اشتّدتْ علّتُها ـ ﷺ ـ ،اجتمع عندها نساءُ المهاجرين والأنصار. فقلنَ لها: يا بنتَ رسولِ اللهِ: كيف أصبحتِ ؟ فقالتْ .ﷺ . خاطبةً بهنَّ : ((أصبحتُ واللهِ عائفةً لدنياكم، قاليةً لرجالِكم، لفظتُهم قبل أنْ عجمتهم ، وشنأتهم بعد أنْ سبرتهم، فقُبحاً لفلولِ الحدِّ، وخورِ القناةِ، وخطلِ الرأي، و بئس ما قّدمتْ لهم أنفسُهم أنْ سخطَ اللهُ عليهم وفي العذابِ هم خالدون، لا جَرَمَ لقد قلّدتهم ربقتَها، وشننت عليهم غارَها فجدعاً، وعقراً، وسُحقاً للقومِ الظالمين))[34].

إنَّ الأمرَ الأولَ الذي ينبغي أنْ نشيرَ إليه أنَّ الزمنَ الذي يفصلُ بين هذه الخطبةِ والخطبة الأولى لا يتعدّى ثلاثة أشهر في أبعدِ الاحتمالاتِ[35]، وعلى الرغمِ من هذا الفاصلِ الزمنيّ بين الخطبتين ، ومرضِ السيّدة فاطمة ـ ﷺ ـ فإنَّ الإطارَ العامَ للخطبتين واحدٌ ويدور حول موضوعٍ واحدٍ ، مع علمٍ جمٍّ وإدراكٍ عميقٍ لما آلَ إليه حالُ المسلمين ، وما استوجبه من حزنٍ عميقٍ وألمٍ وغمٍّ وحرقةٍ ورفضٍ .

والأمرُ الثانيُّ الذي نذكره هنا أنَّ نساءَ المهاجرين والأنصارِ جئن يسألنَّ عن حالِ السيدةِ الزهراء ـ ﷺ ـ ومرضِها ، ولكنَّ ما جاء في الخطبةِ جاء بياناً لما وقع من ظلمٍ على أمير المؤمنين ـ ﷺ ـ ، بعد أنْ حُرمتْ الزهراءُ ـ ﷺ ـ من (فدك) بمفهومها الذي صار عنواناً لما وقع لأمير المؤمنين ـ ﷺ ـ . والآن نعود إلى المقطعِ الأول من الخطبةِ ، فنقول :

---

[33]() لسان العرب (انن)، وينظر معاني النحو 355/1 .

[34]() الاحتجاج 137/1 .

[35]() نعني هنا الروايات الثلاث التي أرّخت لوفاةِ الزهراء ـ عليها السلام ـ وأبعدها رواية التسعين يوماً بعد أنتقال النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أكرم جوار .

يظهرُ من هذا المقطعِ بَرَمَ السيّدةِ الزهراءِ ـ عليها السلام ـ بدنيا هؤلاءِ النسوةِ فهي عائفةً لها ، بسببِ بغضها لرجالِهنَّ، وهي قاليةٌ لهم ، والجذر (قلى) يتضمن المعاني الآتية[36] :

1- قَلَيْتُه قِلًى وقَلاء ومَقْلِيةً : أَبغضتُه وكَرِهْتُه غايةَ الكَراهةِ فتركته.
2- جَرِّب الناس فإنّك إذا جرّبتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك بعد ذلك من بَواطِن سرائرهم .

فالسيّدةُ الزهراءُ ـ عليها السلام ـ أبغضتْ رجالَ هؤلاءِ النسوةِ وكرهتهمم ، لما ظهرَ من بواطنِ أسرارهم التي كانوا يُخفونها على عهدِ رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، لأنّ بعضَهم فعلوا ما فعلوه من دون أنْ يعبأوا بما يريدهُ اللهُ تعالى ، والآخرين سكتوا ، بل وافقوا على الانحرافِ الذي حصلَ ، ومن هنا يتبيّنُ لنا قسوةُ الظلمِ العنيفِ الذي استشعرتْ به الزهراءُ ـ عليها السلام ـ من فعلِ المسلمين آنئذٍ .

وموقفُ الزهراءِ ـ عليها السلام ـ آتٍ من معرفتها بهؤلاءِ الذين لفظتهم قبل أنْ تلوكَهم ، وكرهتهم بعد أنْ سبرتهم ، ولعل من المناسبِ الوقوفَ على دلالة الفعلَ (سبر) أيضاً لنتمثل ما تعنيه . جاء في لسان العرب :[37]

1- السَّبْرُ :التَّجْرِبَةُ ، وسَبَر الشيءَ سَبْراً حَزَره وخَبَرهُ،واسْبُرْ لي ما عنده أَي اعْلَمْه.
2- السَّبْر : اسْتِخْراجُ كُنْهِ الأَمر .
3- السَّبْر :مَصْدَرُ سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُه ويَسْبِرُه سَبْراً نَظَر مِقْدارَه وقاسَه لِيَعْرِفَ غَوْرَه ، ومَسْبُرَتُهُ نِهايَتُه .

وهذه المعاني الثلاثةُ تُرينا أنَّ الزهراءَ ـ عليها السلام ـ علمتْ ما في نفوسِ من وقفوا بوجهها ، وعرفتْ كنه ما خطّطوا له ، وهذا البغضُ الذي ملأ نفسها الكريمةَ آتٍ من تلك المعرفةِ . والمعرفةُ هنا وصلتْ إليها من أبيها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن أميرِ المؤمنين عليه السلام قبل وقوعِ ما وقع مما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام وعليها . وهذا الذي نقوله مبنيٌّ على ما قدّمته اللغةُ لنا في دلالة (عجم) و(سبر) التي مرّتْ .

ثمَّ تُفَنّي الزهراءُ عليها السلام كلامها السابقَ بالاستهجانِ من حالهم بحشدٍ من الكناياتِ التي تجسّدُ الخسرانِ الذي جنوَهُ : (فقُبحاً لفلولِ الحدِّ، وخورِ القناةِ، وخطلِ الرأي) ، فالسيفُ مثلومٌ حدّهُ ، والرمحُ قناتُه ضعيفةٌ ، والرأيُ مضطربٌ . وهذا تحقيرٌ عنيفٌ لفعلِ المعنيين بخطابِها ، لأنّهم خالفوا ما أمرهم اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ به ، وعضّدتْ عليها السلام هذا التقريعَ بقوله تعالى : { لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ }[38] ، ومن تُقدّمُ له نفسُه سخطَ اللهِ تعالى خسر الدنيا والآخرةَ. يقولُ السمرقندي في تفسيرِ هذه الآيةِ : ((لبئس الفعلُ الذي كانوا يستوجبون به السّخطَ من اللهِ تعالى، ويُوجبُ لهم العقوبةَ والعذابَ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ يعني: دائمون))[39] . والزهراءُ عليها السلام بيّنتْ ما يؤولُ إليه مصيرُ هؤلاءِ لبشاعةِ ما أقدموا عليه ، من خلالِ دلالةِ هذه الآيةِ المباركةِ .

وتُتمُّ الزهراءُ عليها السلام تمهيدَ خطبتها بالقولِ: ((لا جرمَ لقد قلّدهم ربقتَها وشنّتْ عليهم غارتُها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقومِ الظالمين))[40].

يبدأ هذا المقطعُ من الخطبةِ بـ(لا جرم) فما الدلالةُ التي ينهضُ بها هذا التعبيرُ لتتّسقَ مع السّياقِ الوارد فيه ؟ . جاء في لسان العرب المعاني الآتية[41].

1- الجرم :القطع، وجرمهُ يجرمهُ جرماً قطعه .
2- لا جرم : قيل معناه لابدَّ ، ولا محالة .

---

[36]() يُنظر :لسان العرب (قلي) .

[37]() يُنظر: لسان العرب (سبر) .

[38]() تمام الآية {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ }المائدة80 .

[39]() تفسير السمرقندي 411/1 .

[40]() بلاغات النساء 23 .

[41]() يُنظر: لسان العرب (جرم).

3- لا جرم : قيل معناهُ حقا ، وقيل غير ذلك .

واجتماعُ هذه المعاني (لابدَّ ، لا محالة ، حقّاً) تنبئُ عن القطع(المعنى1) بأنَّ الإمام عليه السلام قد قلّدهم رِبقةُ الخلافةِ بعد أنْ رأى أنَّ مصلحةَ الإسلامِ تحتّمُ ذلك ، وهذا ما أشارَ إليه عليه السلام يوم الشورى بعد مقتل عثمان بنِ عفّان ، حيث قال : ((لقد علمتم أنّي أحقُّ الناسِ بها من غيري ، ووالله لأُسلِّمنَّ ما سلمتْ أمورُ المسلمين ، ولم يكنْ فيها جَورٌ إلّا عليَّ خاصةً التماساً لأجرِ ذلك ، وفضلِه ، وزهداً فيما تنافستموهُ من زخرفهِ وزبرجهِ))[42] .

ولبيانِ هولِ ما واجهَ المذكورين ، أشارتْ عليها السلام إلى أنَّ الخلافةَ شنَّتْ عليهم غارتَها ، كنايةً عمّا ارتبطَ بها من تجاوزٍ لحدودِ اللهِ تعالى ، وهنا تلتفتُ الزهراءُ عليها السلام إلى الدعاءِ على هؤلاءِ القومِ الظالمين بالجدعِ والعقرِ والبعدِ، فالجدعُ : يكون للأنف كنايةً عن الإذلالِ ، كما أن شموخَ الأنفِ يكنّى به عن العزّةِ و الرفعةِ[43]

أما العقرُ : فهو من أساليبِ العربِ الشديدةِ في الدعاءِ لما يتضمّنه من معانٍ موجعةٍ لنفسِ المدعوّ عليه ، فمن معانيه التي تختصُّ بالدعاءِ ما يأتي :

1. عَقَرَ النخلة عَقْراً وهي عَقِرةٌ : قطع رأْسَها فيبستْ ، وعَقْرُ النَّخْلة أَنْ يُكْشَطَ لِيفُها عن قَلْبها ويؤخذ جَذَبُها ، فإذا فعل ذلك بها يَبِسَتْ وهَمَدت ، ويقال عَقَر النخلة قَطَع رأْسَها كلَّه مع الجُمّار فهي مَعْقورة.
2. وطائر عَقِرٌ وعاقِرٌ إذا أَصاب ريشَه آفةٌ فلم ينبت .
3. عقرى : صفةٌ للمرأة المشؤومةِ ، أَيْ أَنّها تَعْقِرُ قومَها وتَحْلِقُهم أَي تستأْصِلُهم من شؤمها عليهم .

فهذه المعاني بأجمعها تظهرُ لنا قسوةَ دعاءِ الزهراءِ عليها السلام على القوم ، لأنّهم تجاوزوا حدودَ ما أمرَ الله تعالى به ، وهو هنا (أي الدعاء) وسيلةٌ من وسائلِ التنبيهِ والتأديبِ لهم إنْ كان بعضُهم لا يدركُ خطرَ ما أقدموا عليه ، فشدّةُ الدعاءِ هنا تتناسبُ مع الذنبِ العظيمِ الذي اقترفوهُ .

ويبقى من الدعاءِ السابقِ كلمةُ (بُعداً) وهي تعني الهلكة في إطارها العام[44] ، ولكنَّ الزهراء عليها السلام جاءتْ بهذه الكلمةِ ضمن سياقٍ مقتبسٍ من آياتٍ من القرآنِ الكريمِ : في قوله تعالى : {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[45] . و(بُعداً) في هذا السياقِ معناه : بُعدا لهم من الرّحمةِ، وهي كاللّعنة التي هي إبعادٌ للظالمين من رحمةِ اللهِ[46].

زحزحةُ الخلافةَ عن أميرِ المؤمنين (عليه السلام) :

تنتقلُ السيّدةُ الزهراءُ عليها السلام في هذا المقطعِ من خطبتها في نساءِ الأنصارِ إلى الحديثِ عن ولايةِ شؤونِ المسلمين ، فتقول : ((ويحَهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالةِ، وقواعدِ النبوّةِ ، ومهبطِ الروحِ الأمينِ، والطبينِ بأمورِ الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسرانُ المبينُ))[47].

تبدأ الزهراءُ عليها السلام كلامَها بكلمةِ (ويحهم) ، والخطابُ هنا موجّهٌ لرجالِ نساءِ الأنصارِ ومنهم إلى المسلمين عامةً ، فما الذي تؤدّيه هذه الكلمةُ ؟ . جاء في المعجمِ العربيِّ المعاني الآتية[48] :

---

[42]() نهج البلاغة 113/1 .
[43]() يُنظر: لسان العرب (جدع) .
[44]() يُنظر: لسان العرب (بعد) .
[45]() المؤمنون41
[46]() يُنظر: التبيان 362/7 .
[47]() الاحتجاج 147/1 .

1- وَيْح : كلمةٌ تُقال رحمةً .
2- وويح : رحمةً لمن تنزلُ به بليةٌ .
3-وَيْح : كلمة رحمة ، ووَيْلٌ كلمةُ عذابٍ ، وقيل : هما بمعنى واحدٍ .
4- وَيْح : تُقال لكلّ من وقعَ في بليّةٍ يُرْحَمُ ويُدْعى له بالتخلّصِ منها .
5- ويح : رحمةٌ ، يعني أَنْ تكونَ العربُ تقولُ لمن ترحمه وَيْحَه رِثايَةً له .

انتقتْ الزهراءُ ﷺ هذه الكلمةَ لهذه المعاني التي تؤدّيها ، إذْ جمعتْ فيها الدعاءَ بالرحمةِ للخلاصِ من البليّةِ (المعاني 1 ، 2 ، 4) التي نزلتْ بالمسلمين بعد أنْ زعزعوا الولايةَ ((حركوها ليقلعوها من مكانها))[49] ، وهذا المعنى يتّسقُ مع السياقِ المحيطِ به . ولكنّ ما بقي من المعاني يتلاءمُ - أيضا - مع المعنى العام الذي ينتظمُ فيه (ويح) ، فقد تكون هنا كلمةُ عذاب من الزهراءِ ﷺ على من ذُكروا (المعنى 2)، وهذا يتّسقُ مع ما رأيناه في مقدّمةِ الخطبةِ من التوجّعِ والألم والحسرةِ .

وتستفهمُ الزهراءُ ﷺ عن تحويلِ الولايةِ (زعزعتها كما أشرنا) بـ(أنّى)التي تعني هنا (كيف) ، ولكنّها أوسعُ منها في أداء المعنى ، وأقوى في الاستفهام الانكاري[50] ، لأنَّ الأمرَ جللٌ ويحتاجُ إلى هذه القوّةِ التي يُوفّرها الاستفهامُ بـ(أنّى) ، بعد أنْ وفّر الفعل (زعزع) تلك الحركةَ التي تتناسب مع قلعِ الأشياءِ الراكزةِ كالأشجار مثلاً ، لأنها (الولايةُ) ثابتةٌ بثبوتِ الرسالةِ في النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وأهلِ بيته .

أما قواعدُ النبوّةِ ، فالقاعدةُ هي : أَصلُ الأُسّ ، والقَواعِدُ : الأساسُ ، وقواعِدُ البيتِ : أساسُهُ[51]، وقواعدُ النبوّةِ : الأساسُ الذي قامتْ عليه ، والنبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وعليٌّ ﷺ هما الأساس الذي نهضتْ عليه النبوّةُ ، والشواهُد على ذلك كثيرةٌ ، رأينا بعضها فيما مرَّ (التحنّث في غارِ حراء) ، ونُضيف هنا وجهاً آخرَ من وجوهِ الأساسِ المعهود ، فثمة روايةٌ تقولُ : ((قال الصادقُ جعفرُ بنُ محمدٍ ﷺ : أول جماعة كانت إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كان يُصلّي وأميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ معه، إذْ مرَّ أبو طالب به وجعفرٌ معه فقال: يا بُنيَّ، صِلْ جناحَ ابنِ عمّك، فلماّ أحسَّ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - تقدّمهما ، وانصرفَ أبو طالب مسروراً))[52]. فقاعدةُ الإسلامِ الصلاةُ ، وقاعدةُ الصلاةِ هذه الجماعةُ .

وحينما رحلَ النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربّهِ - ، وهو الأسُّ الأوّل لقواعدِ النبوّةِ ، بقي الأسُّ الثاني ، وهو أميرُ المؤمنين ﷺ ، فكيف تُزعزعُ ولايةُ المسلمين عنه؟! .

أما قولُهُ (الطبين بأمور المسلمين) ، فهنا ننظرُ في دلالات الجذر (طبن) التي جاءتْ فيها المعاني الآتيةُ[53]:

1.الطَّبَنُ بِالتَّحْرِيكِ: الفِطْنَةُ. طَبِنَ الشيءَ : فطِنَ لَهُ.
2. الطَّبَنُ : الفِطْنَةُ لِلْخَيْرِ.
3.رَجُلٌ طَبِنٌ: فَطِنٌ حاذِقٌ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.
4.رَجُلٌ طَبِنٌ : لَقِنٌ لَحِنٌ .

إنَّ هذه المعاني التي يُقدّمها لنا الاستعمالُ الاجتماعيُّ للجذر(طبن) ، تجتمعُ في شخصِ أميرِ المؤمنين ﷺ ، فهو حاذِقٌ عَالِمٌ بأمورِ المسلمين ، لَقِنٌ فَطِنٌ للخيرِ، وهذه الصفاتُ لا تجتمعُ في غيره ﷺ كما يُجمعُ على ذلك المسلمين ، وثمّة شاهدٌ يُغرينا بالوقوفِ عنده ، وهو ما علّق به صاحبُ(النهايةِ في غريبِ الحديثِ) على الحديثِ النبويّ ((النظرُ إلى عليٍّ عبادة)) حيثُ قال: ((...معناه أنّ عليّاً - رضي الله

---

[48]() يُنظر : لسان العرب (ويح) .
[49]() يُنظر: م , ن (زعزع) .
[50]() يُنظر: معاني النحو 255/4 .
[51]() يُنظر: لسان العرب (قعد) .
[52]() وسائل الشيعة 288/8 .
[53]() يُنظر: لسان العرب (طبن) .

الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية

الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

عنه ـ كان إذا بَرَز قال الناسُ : لا إله إلا اللهُ ما أشرَفَ هذا الفَتى ، لا إله إلا الله ما أعلَمَ هذا الفتى ، لا إله إلا الله ما أكرَمَ هذا الفتى ، لا إله إلا الله ما أتْقَى هذا الفتى ، لا إله إلا الله ما أشْجَعَ هذا الفتى ، فكانت رؤيَتُه تَحْمِلُهم على كلمة التوحيد))[54] ،ولذا فإنَّ الزهراءَ عليها السلام تذكّرُ المسلمين بمنزلةِ أمير المؤمنين عليه السلام وتدعوهم إلى التدبّرِ في حياتهِ وسيرتِه لتقويمِ حياتِهم ، مع التركيزِ على أنّ ما عنده من الصفاتِ المذكورةِ هبةٌ من اللهِ تعالى .

وينتهي هذا المقطعِ من كلامِ الزهراءِ عليها السلام بقولها : (ألا ذلك هو الخسرانُ المبين) ، وعلى الرغمِ من أنَّ الخسرانَ المذكورَ جاء نتيجةً لما مرَّ من تفريطِ المسلمين بالأسسِ التي ذكرتها في صدرِ هذا المقطعِ ، فإنَّها عليها السلام استحضرتْ مع ما مرَّ قولَه تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[55] ، لأنّها تتلاءمُ تماماً مع حالِ المسلمين الذي تُشيرُ إليه الزهراءُ عليها السلام ، فقد رُوي أنَّ زرارة سأل الإمامَ الباقرَ عليه السلام ، فأجابه بقوله : ((ومن الناسِ من يعبدُ اللهَ على حرفٍ يعني على شكٍّ في محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما جاء به " فإنْ أصابهُ خيرٌ " يعني عافية في نفسهِ ومالهِ وولدهِ " اطمأنَّ به " ورضي به " وإن أصابته فتنةٌ " يعني بلاء في جسدهِ أو ماله تطيّر وكره المقامَ على الاقرارِ بالنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فرجع إلى الوقوفِ والشَّكِّ، فنصب العداوةَ للهِ ولرسولهِ، والجحودِ بالنبيّ وما جاء به))[56]، والجحودُ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الجحودُ بالنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعينهِ .

ثم تنتقلُ الزهراءُ عليها السلام إلى ضربٍ آخرَ من ضروب تقريعها للمخاطبين بكلامها فتقول :((وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا واللهِ منه نكيرَ سيفهِ، وقلةَ مبالاته لحتفهِ، وشّدةَ وطأتِهِ، ونكالَ وقعتهِ، وتنمّره في ذاتِ اللهِ))[57] .

تستفهمُ الزهراءُ استفهاماً تقريريّاً هنا عمّا ينقمه هؤلاءِ من أبي الحسن عليه السلام ولعلَّ استعمالَها لكنيةِ (أبي الحسن) تقصدُ بها التعظيم كما يعرفُ المخاطبون ذلك ، لأنَّ الكنيةَ عند العربِ يُقصد بها التعظيمُ[58]، وهي أعطتْ لأمير المؤمنين عليه السلام ما يستحقّه من الصفات ـ كما مرّ ، وكما سيأتي ـ ولكنَّ الموقفَ يستدعي كلَّ ما من شأنهِ أنْ يُعيد إلى أذهانِ البعضِ ما ندَّ عنه سهوا أو تعمدّاً من خصالِ أميرِ المؤمنين عليه السلام .

وتجيبُ الزهراء عليها السلام عن استفهامها السابقِ لتقرّرَ الجوابَ بنفسها عن سببِ نقمةِ المخاطبين على أميرِ المؤمنين عليه السلام ، فذكرتْ نكيرَ سيفهِ في المشركين ، وهذا ما لا يخفى على أحدٍ من المسلمين ، ولنا أنْ نستحضرَ مواقفَه في معركةِ بدر وأحد والخندق ... وغيرها من معارك المسلمين التي كان لسيفِ أميرِ المؤمنين عليه السلام الأثر البعيد في الدفاعِ عن الإسلامِ وتثبيتِ أركانهِ .

أما قلّة مبالاته لحتفهِ ، فيكفي أنْ ننظرَ في قولهِ للأشعثِ بنِ قيس حين عرّضَ بأنْ يفتكُ به. فقالُ له: ((أبالموتِ تُهدّدُني، فواللهِ ما أُبالي وقعتُ على الموتِ، أو وقعَ الموتُ عليَّ))[59]، وفي قولٍ آخر له : ((واللهِ لابنُ أبي طالبٍ آنسُ بالموتِ من الطفلِ بثديّ أمّهِ))[60] ، وحينما ضربهُ عبد الرحمن بنُ ملجم قال قولته الذائعةَ ((فزتُ وربِّ الكعبةِ))[61] وفي هذه الأقوالِ الثلاثةِ بيانٌ لكلِّ ما تعنيه الزهراءُ عليها السلام بقلّةِ مبالاةِ أميرِ المؤمنين بحتفهِ ، وهو كثيرٌ كثيرٌ .

---

(54) النهاية في غريب الحديث 77/5 ، وينظر الحديث في : أمالي الطوسي 455 ،ينابيع المودّة 265/1 .
55() الحج 11.
56() الكافي 413/2 .
57() الاحتجاج 148/1 .
58() يُنظر: لسان العرب(كنى) .
59() مقتل الطالبيين 8 .
60() نهج البلاغة 41/1 .
61() مناقب آل أبي طالب 385/1 .

وتتمُّ الزهراءُ عليها السلام خطبتها بالقولِ : ((وتاللهِ لو مالوا عن المحجّةِ اللائحةِ، وزالوا عن قبولِ الحجّةِ الواضحةِ، لَردّهم إليها، وحملهم عليها))[62].

تُقسمُ الزهراءُ عليها السلام بـ(تالله) قسماً مقروناً بالتعجّبِ[63] وفيه زيادةٌ في المعنى ، كأنّها عليها السلام تتعجّبُ من الانحرافِ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام وهو القادرُ على تعديلِ من يميلُ عن المحجّةِ اللائحةِ وهي : ((جادة الطريق الظاهرةُ البيّنة))[64]، ومن لا يقبلُ بالحجّةِ الواضحةِ ، لردّه إليها عليٌّ عليه السلام بما عُرفَ عن تمسّكه بالحقِّ والسيرِ على هُداهُ . وهذا ما سمعته الزهراءُ عليها السلام ، وما سمعه المسلمون من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ((أقضاكُم عليٌّ، وإن تُوَلُّوها عليّاً تجدوه هادياً مهدياً، يحملُكم على المحَجّةِ البيضاءِ والطريقِ المستقيمِ))[65]، وما داموا قد أبعدوا عليّاً عليه السلام عن الولايةِ ، فمن حقِّ الزهراءِ عليها السلام أنْ تبيّنَ موطنَ مخالفةِ هؤلاءِ لأمرِ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وتُضيفُ الزهراءُ عليها السلام : ((ولسارَ بهم سيراً سجحاً لا يَكلمُ خشاشُه ولا يَكلُّ سائرُه ، ولا يملُّ راكبُه، ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً رويّا، تطفحُ ضفتاهُ ولا يترنّق جانباه ولأصدرهم بطاناً))[66].

استعانتْ الزهراءُ عليها السلام هنا بحشدٍ من الكناياتِ التي تبيّنُ ما تمتلكهُ عليها السلام من براعةٍ في الوصفِ جاءتْ غايةً في البيانِ مع ما تحمله من برهانٍ ساطعٍ لإثباتِ حقِّ أميرِ المؤمنين عليه السلام في الولايةِ على المسلمين . فهو عليه السلام سيسيرُ بالمسلمين سيراً سجحاً ((معتدلاً سهلاً))[67]لا يتمايلُ فيه تكبّراً ، وإنّما سيكونُ علماً يهتدون بهديهِ في سيرهم ، فلا يكلُّ السائرُ معه ، ولا يملُّ الراكبُ من طولِ السيرِ لما ذُكر من اعتدالٍ . وهذا كلّه سيقودُ السائرين إلى منهلٍ صافٍ لا يتكدّر جانباهُ .

إنَّ هذا الضربَ من الأداءِ الفنّي سيكون فاعلاً في النفوسِ ، لأنَّ الأصلَ في هذا كلّه بلوغُ المنهلِ الصافي ، وهو الفوز برضا اللهِ تعالى وإقامةِ دولةِ العدلِ الإلهي التي يرغبُ من ثبت على المنهجِ النبوي بإقامتها .

من سيرةِ أميرِ المؤمنين عليه السلام :

تذكرُ الزهراءُ عليها السلام في هذا المقطعِ من كلامها بعضَ صفاتِ أميرِ المؤمنين عليه السلام المعهودةَ فيه فتقول : ((ونصح لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائلٍ، ولا يحظى منها بنائلٍ، غير ريّ الناهلِ، وشبعةِ الكافلِ، ولبانَ لهم : الزاهدُ من الراغبِ والصادقُ من الكاذبِ))[68] ، ومنها : النصحُ في السرّ والعلنِ على وفقِ ما يوجبُه الموقفُ الذي يرى النصيحةَ فيه واجبةً سرّاً أو إعلاناً ، وعلى وفقِ شخصيّةِ من تُهدى إليه النصيحةُ ، وأميرُ المؤمنين عليه السلام قمينٌ بهذا كلّهِ .

وتشيرُ الزهراءُ عليها السلام إلى أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام لا يعبأُ بالدنيا وزُخرفِها ، ولا ينالُ منها شيئاً إلّا ما يقيمُ به حياتَه ، وهذا شأنُه الذي يعرفه عنه المسلمون ، إذْ كان يعيشُ من كدِّ يدهِ ، وكان يقول في إعراضه عن الدنيا واكتفائهِ بالنزر من الطعام : ((وأيمُ اللهِ يمينا أستثني فيها بمشيئةِ اللهِ لأروّضنَّ نفسي رياضةً تهشُّ معها إلى القرصِ إذا قدرتْ عليه مطعوما ، وتقنعُ بالملحِ مأدوما))[69] ، وهذا هو (شبعةُ الكافلِ) التي مرَّ ذكرُها .

وتستشهدُ الزهراءُ عليها السلام في نهايةِ هذا المقطعِ من خطبتها بآيتين من القرآن الكريم هما قولُه تعالى : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ

---

[62]() الاحتجاج 148 .
[63]() يُنظر: المقتضب 175/4 . شرح المفصل 34/8 .
[64]() يُنظر: لسان العرب (لوح) .
[65]()الانتصار للقرآن 191/1 ، مناقب آل أبي طالب 180/2 ،
[66]() الاحتجاج 148/1 .
[67]() يُنظر: لسان العرب(سجح) .
[68]() الاحتجاج 148/1 .
[69]() نهج البلاغة 54/3 .

الإمامِ علي عليه السلام في خطبتي فاطمة الزهراء عليها السلام
قراءة تأويلية

الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

يَكْسِبُونَ }[70] ، وقولُه تعالى : {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ }[71].

ليس من شكّ أنَّ الاستشهادَ هنا يدفعُنا الى الالتفاتِ إلى السّياقِ مرّةً أخرى لأنّه هو الذي استدعى استلهام دلالةِ الآيةِ المباركةِ ، وهذا ما نتلمّسُه الآن ، فالزهراءُ عليها السلام بعد أنْ يئستْ من إيمانِ هؤلاءِ نبّهتهم إلى ما ينتظرهم من اللهِ تعالى جزاءً لما كسبوا من تفريطٍ بولايةِ أمير المؤمنين عليه السلام . وإلى هذا المعنى أشار سلمانُ الفارسيُّ بقولهِ : ((لو وليتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم، ومن تحتِ أقدامِكم، ولو دعوتم الطيرَ لأجابتكم في جوّ السّماء، ولو دعوتم الحيتان من البحارِ لأتتكم، ولما عالَ وليُّ اللهِ ، ولا طاش لكم سهمٌ من فرائضِ اللهِ ، ولا اختلف اثنان في حكمِ اللهِ ، ولكنْ أبيتم فوليتموها غيرَه فأبشروا بالبلايا، واقنطوا من الرَّخاء))[72] . أليستْ هذه دلالة قولِ الزهراء بعينها ؟ ، نعم هي هي .

ثم يأتي استلهام الآيةِ الثانيةِ ، وهي تندرجُ في إطارِ العذابِ الذي ينتظرُ الذين كسبوا السّيئاتِ ، وظلموا عليّاً عليه السلام ، لأنَّ السياقَ يُوجبُ هذا التوجيه ، فهؤلاءِ لا منجى لهم من العذابِ ، ولا يجدون مسلكاً يُنقذهم من غضب اللهِ عليهم .

وتضيف الزهراءُ عليها السلام فتقول : ((أَلا هَلُمَّ فاستمع. وَمَا عِشْت أَرَاك الدَّهْر عجباً ، وَإِنْ تعجب فَعجبٌ لحادثٍ إِلَى ملْجأ لجئوا واستندوا، وَبِأَيِّ عُرْوَة تمسّكوا، " لبئس الْمولى ولبئس العشير "))[73].

تُظهرُ الزهراءُ عليها السلام هنا ضرباً من التعجّبِ من فعلِ هؤلاءِ القومِ الذين اختاروا منهجاً ليس له أساسٌ يستندون إليه ، ولا عُروة يتمسكون بها ،ومن يفعلُ ذلك يكون ضالّاً ومضلّاً في الوقتِ نفسهِ . ثم تستعين بالآيةِ القرآنيةِ (لبئس المولى ولبئس العشير)، بئس المولي الذي اختاروه ، والمولى ــ وقد وقفنا عند دلالته فيما سبق ــ هو: ابْنُ الْعَمّ والعمُّ والأَخُ والابنُ والعَصباتُ كُلُّهُمْ، والمَوْلى النَّاصِرُ، وَالْمَوْلَى الْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي عَلَيْكَ أَمرك))[74]. وهذا الوصفُ ينطبقُ تماماً على من أُختير ليكون بديلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام . ثمّ تُقفّي عليها السلام ما سبق من الذكرِ الحكيم بقوله تعالى : { بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً } ، وبدل الظالمين هنا إبليسُ وذرّيّتُه على وفقِ تمامِ الآيةِ {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً))[75].

وتذهبُ عليها السلام إلى إتمام خطبتها على نساءِ الأنصارِ بقولها : ((استبدلوا واللهِ الذُنابى بالقوادمِ ، والعجزَ بالكاهلِ))[76].

تُقسمُ الزهراءُ عليها السلام لنساءِ الأنصار بأنَّ ما فعله الرجالُ من تركِ أميرِ المؤمنين عليه السلام والتوجّهُ إلى غيرهِ ، هو في حقيقتهِ استبدالٌ للذنابى بالقوادمِ ، والذُنابى : ذنبُ الطائرِ، والقوادمُ : مَقادِيمُ رِيشِ الطيرِ ، وَهِيَ عَشَرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ[77]، وعليها المعوّلُ في الطيرانِ ، فلا مقارنة بين الطرفين .

إنَّ هذا التعبيرَ الكنائي يجسّدُ بإطارٍ فنّيٍّ علمَ الصديقةِ الزهراء عليها السلام الذي لا يُخالطهُ شكٌّ ، ولا تقتربُ منه دواعي العصبيّةِ ، بأنَّ ما فعله القومُ هو مهلكةٌ لهم قبل غيرهم ، وإلّا فإنَّ القوادمَ تبقى على حالها ، وذنبَ الطيرِ يبقى ذنباً .

---

[70]() الأعراف96 .
[71]() الزمر 51 .
[72]() الاحتجاج 148/1 .
[73]() نفسه .
[74]() لسان العرب (ولي) .
[75]() الكهف 50 .
[76]() الاحتجاج 148/1 ، وتمام الآية : {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }يونس35 .
[77]() يُنظر: لسان العرب(قدم) .

ثمَّ تأتي ﷺ بالكنايةِ الأخرى ، وهي استبدال العجزَ بالكاهلِ ، والعجزُ : مؤخر الشيء ، والكاهل : بين الكتفين ، بَيْنَ كُلِّ ضِلَعَينِ مِنْ أَضلاع الصَّدْرِ فَقَرةٌ مِنْ فَقَراتِ الْكَاهِلِ السِّتِّ[78]. وهذا الاستبدالُ الذي تجسّده هذه الكنايةُ دليلٌ صائبٌ على خطلِ ما اختار الرجالُ من المهاجرين ، وسكت رجالُ الأنصارِ، إذْ يرون بأعينهم عزلَ أميرِ المؤمنين ﷺ عن ولايةِ المسلمين ، وهو وليّهم على وفقِ الاختيار الربّاني الذي تجسّدهُ آياتُ الولايةِ كما مرَّ بنا .

وتختمُ الزهراءُ ﷺ هذا المقطعِ من كلامها بالقولِ (فرغماً لمعاطسِ قومٍ يحسبون أنّهم يُحسنون صُنعاً)، وهنا تدعو ﷺ بالذلّ والانقيادِ عن كرهٍ لمعاطسِ قومٍ ، أيْ لأنوفِ قومٍ ، فقد ورد في المعجمِ ما يأتي : أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَه أَيْ أَلزقهُ بالرَّغام، وَهُوَ التُّرَابُ؛ هَذَا هُوَ الأَصلُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الذُّلِّ وَالْعَجْزِ عَنِ الِانْتِصَافِ وَالِانْقِيَادِ عَلَى كُرْهٍ . وتجمعُ الزهراءُ ﷺ بين هذا القولِ وبين قولهِ تعالى : { يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }[79]، لمن ظلَّ سعيُهُ في الحياةِ الدنيا ، وهو يعتقدُ أنّه يُحسنُ ما هو بصددِ صناعتهِ . وتردفُ الزهراءُ ﷺ ما سبق بآياتٍ قرآنيّةٍ تناسبُ المقامَ وتُفصحُ بها عن أحوالِ الناسِ بتنسيقٍ باهرٍ بين ما تقولُهُ وبين الآياتِ ، {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }[80] ، ويحهم أفمن { يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }[81].

آثارُ صرفِ الولايةِ عن أميرِ المؤمنين ﷺ :

وتختم الزهراءُ ﷺ خطبتَها ببيانِ ما ينتظرُ المخاطبين من آثارٍ فتقول : ((أما لعمري لقد لقحتْ، فنظرة ريثما تُنتجُ، ثم احتلبوا ملء القعبِ دماً عَبيطاً ، وزُعافاً مُبيداً، هنالك يخسرُ المبطلون ، ويُعرفُ البطّالون غِبَّ ما أسَّسَ الأولون))[82].

تبدأُ الزهراءُ ﷺ المقطعَ الأخيرِ من خطبتِها بالقسمِ بـ(لعمري) ومعناه : قسمٌ بحياتي ، والقسمُ بالحياةِ قد يكونُ أكثرَ وقعاً في نفوسِ المتلقّين ، لأنَّ المقسِمَ (وهي الزهراءُ ﷺ هنا) يُريدُ أنْ يُثبتَ دقّةَ ما أقسم عليه ، وجاءتْ الكنايةُ وسيلةً من وسائلِ التعبيرِ التي تقطعُ بما سيقعُ ، فالناقةُ التي تلقحُ يُنتظرُ ما تُنتجُ من اللبنِ ، ولكنّ ما تُنتجه هنا دماً عبيطاً . وهذه الصورةُ تتقزّزُ منها نفوسُ العربِ الذين كانوا لا يستقصون حلبَ الناقةِ حتى لا يخرج الدمُ بعد اللبنِ[83]، فكيف إذا كان ما يُنتظرُ من اللبنِ دماً عبيطاً وموتاً شديداً يُبيدُ من يحلُّ بهم ؟!. وهنا تأخذ الزهراءُ ﷺ من القرآن الكريم ما يُعضّدُ ما أشارتْ إليه ، حيث سيؤول أمر هؤلاء المبطلون إلى الخسرانِ المبين : {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرضِ وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ }[84]. وهذه الإشارةُ تخصُّ ما سينتظرُ هؤلاءِ من خسارةٍ يوم القيامةِ ، وهو الذي يعني من هو مسلمٌ بحقٍّ .

أما الدنيا التي زحزحوا أميرَ المؤمنين ﷺ عن ولايةِ المسلمين الظاهريّةِ من أجلها ، فقد رسمتْ لها الزهراءُ ﷺ صورةً وكأنّها تنظرُ إلى الغيبِ من سترٍ رقيقٍ ، لأنَّ ما ذكرته لم يقعْ في زمانها ، وإنّما وقع في السنين اللاحقةِ ، فهم ستطيبُ أنفسُهم عن دنياهم التي فعلوا ما فعلوا من أجلِها مُكرهين غير راغبين عنها ، ولا يخفى هنا ما أودعته الزهراءُ ﷺ من تهكّمٍ واستخفافٍ (ثم طِيبوا عن دنياكم أنفساً)، وهذا سيقعُ في السنين والقرون اللاحقةِ .

***

[78]() يُنظر: م . ن (كهل) .
[79]() تمام الآية : {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }الكهف104 .
[80]() البقرة 12 .
[81]() يونس 35 .
[82]() الاحتجاج 148/1 .
[83]() يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 173/3.
[84]() الجاثية27 .

إنَّ هذه البراعة الفنيّةَ التي تلمّسناها في خطبتي الزهراءِ عليها السلام تُرينا قدرةً هائلةً على صياغةِ الكلامِ ، من دون أنْ يؤثرَ ذلك على المضامين الفكريّةِ التي أرادتْ الزهراءُ عليها السلام التعبير عنها والتي تتعلّقُ بأمير المؤمنين - عليه السلام- وهي في معرضِ بيان تغيّرِ المفاهيمِ والقيمِ الإسلاميّةِ ، ومردُّ هذا كلّه إلى أنّها لذلك أهلٌ، فهي من البيتِ الذي جعل اللهُ تعالى أهلَه أرباباً للكلامِ. يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام : ((وإنّا لأمراءُ الكلام ، وفينا تنشَّبتْ عروقُه ، وعلينا تَهدّلتْ غصونُه))[85].

وأمرٌ آخرُ نذكّرُ أنفسنا به هنا ، وهي إنَّ شدّةَ الموقفِ الذي رأته الزهراءُ عليها السلام الذي أحدثَ الشرخَ الكبيرَ في ثوابتِ الدين الإسلاميّ ، لم تؤثرْ على الهدوءِ المعهودِ الذي تتمتّعُ به ، وإنّما أظهرتْ رباطةَ جأشٍ ممزوجةً بغضبٍ للهِ تعالى ، لأنّ إبعاد أمير المؤمنين عن ولاية المسلمين مخالفةٌ لأوامرِ اللهِ جلَّ شأنه .

المصادر والمراجع

﴿ القرآن الكريم .
1. الاحتجاج ، الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف 1386ه ، 1966م .
2. أحكام القرآن ، الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت 370 هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1415هـ - 1994م .
3. *الأصفى في تفسيرِ القرآن ، الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)* ، ، حققه مركز الابحاث والدراسات الاسلامية. - قم: مكتب الاعلام الاسلامي، مركز النشر، 1376ه .
4. *الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشادِ* ،الشيخ الطوسي(أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت460 ه) ، مكتبة جامع جهلستون ، طهران ، إيران .
5. *أمالي الطوسي ، الشيخ الطوسي (*أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت460 ه) ، انتشارات دار الثقافة قم، 1414ه .
6. الانتصار للقرآن ، الباقلاني(محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي ت 403هـ) ،تحقيق: د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت ، 1422 هـ - 2001 م .
7. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، لبنان ، ط2 ، 1403هـ – 1983م .
8. بلاغات النساء،ابن طيفور(أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ) ، صحّحه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة ،١٣٢٦هـ ،١٩٠٨م.
9. التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي (ت460هـ) ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط1 ، 1409هـ ، قم .
10. تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، الحسين بن مسعود البغوي (ت516 هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1417هـ - 1997م ، ط4 .

[85]() نهج البلاغة 169/2 .

11. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، الثعلبي (أبو اسحق أحمد بن محمد الثعلبي ت 437هـ) ، تحقيق الاستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1422هـ 2002م .
12. تفسير السمرقندي (بحر العلوم) للسمرقندي (أبو الليث، نصر بن محمد بن بن أحمد، السمرقندي ت 373هـ) ، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت 1418هـ - 1997م.
13. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت 671هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1384هـ – 1964م .
14. تفسير الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، 1379هـ .
15. تفسير مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ت 150هـ) ، تحقيق عبد الله محمد شحاتة ، دار إحياء التراث ، ط1 ، بيروت ، 1423هـ .
16. ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، شرحه : حسن حمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1414ه ، 1994م .
17. رسائل الشريف المرتضى ، الشريف المرتضى ، تقديم : أحمد الحسيني ، إعداد: مهدي رجائي ، مطبعة سيد الشهداء ،دار القرآن الكريم ، قم المقدسة ، 1405هـ .
18. زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت 597هـ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ .
19. السيرة النبويّة ، ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ) ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط2 ، 1375هـ - 1955م .
20. شرح أصول الكافي ، المازندراني (محمد صالح (ت 1081هـ) ، تحقيق : علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسّسة التاريخ العربي ، بيروت- لبنان ، ط2 ، 1429هـ ــ 2008م.
21. شرح المفصل ، ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي الأسدي الموصلي ت ٦٤٣هـ) ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
22. الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، الشيخ الأميني ، نشر دار الكتاب العربي ، ط4 ، 1397هـ - 1977م .
23. الكافي ، الشيخ الكليني ، تحقيق علي أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، ط3 ، 1388هـ .
24. لسان العرب ، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور ت 711هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
25. مجمع الأمثال ، الميداني(أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ت ٥١٨هـ) ، تحقيق :محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت، لبنان .
26. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ ، الهيثمي(الحَافِظِ نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الهَيْثَمِي ت 807) ، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ ، حسين سليم أسد الدّاراني ، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ ، دمشق ، بيروت .
27. معاني النحو ، الدكتور فاضل السامرائي ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق .
28. مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الإصبهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ت ٣٥٦هـ) ، المحقق: السيد أحمد صقر ، دار المعرفة، بيروت .
29. المقتضب ، المبرد (أبو العباس ،محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، المعروف بالمبرد ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب. – بيروت .

30. *المقنعة ، الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري ت413هـ) ،مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران . 1410 هـ .*
31. مناقب آل أبى طالب ، ابن شهر آشوب (مشير الدين أبو عبدالله محمد بن على بن شهر اشوب ت 588 هـ) ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المكتبة الحيدرية 1376 هـ ، 1956م .
32. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (مجد الدين بن محمد الجزري ت 606ه) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1963 م .
33. نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، جمع الشريف الرضي ، تحقيق وشرح الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
34. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104ه) ، تحقيق مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث ، ط2 ، 1414ه، مطبعة مهر ، قم .
35. وقعة صفّين ، نصر بن مزاحم -212 ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة 1382ه .
36. ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي(سليمان بن ابراهيم الحنفي ت 1294هـ) تحقيق: سيد علي جمال اشرف الحسيني ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، قم 1416 ه إيران .